خطبة صلاة الجمعة 15/ 11/ 2024 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال، في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(العزاء والعَلاء لأهل قدسيا والمزة)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: 155-157].

أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«ما تَعُدُّونَ الشهيدَ فيكم؟»** قالوا: يا رسول الله، مَنْ قُتِلَ في سبيل الله فهو شهيدٌ، قال: **«إنَّ شُهدَاءَ أُمَّتي إذاً لَقليلٌ»**، قالوا: فَمن هُمْ يا رسولَ الله؟ قال: **«من قُتِلَ في سبيل الله فهو شهيدٌ، ومن مات في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في الطاعون فهو شهيد، ومن مات في البَطْنِ فهو شهيد، والغريق شهيدٌ»**.

وفي رواية الموطأ، والترمذي: أَنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قال: **«الشهداءُ خَمْسَةٌ: الْمَطْعُونُ، والْمَبْطُونُ، والغَرِقُ، وصاحبُ الهَدْمِ، والشهيدُ في سبيل الله»**.

عنوان خطبة اليوم: **العزاء والعَلاء لأهل قدسيا والمزة**

أيها الإخوة:

شاء الله أن تكون أرضُ الشام أرضَ الملاحم الفاصلة بين الحق والباطل، وفلسطين والأردن ولبنان وسورية كلها شام، ويشاء الله أن تمتزج دماء شعب هذه البلدان المباركة لتَرْوِي أرضَ البطولة فتُنبتَ الحياة من لجة الموت وتُخرجَ النور من وسط الظلام.

لـمّتِ الآلامُ مِنّا شَمْلَنا ونمتْ ما بَيننا مِن نسبِ

بورِكَ الخطبُ، فكَم لفَّ على سهمهِ أشتاتَ شعبٍ مُغضَبِ

يا روابي القدسِ يا مجلى السّنا يا رؤى عيسى على جفنِ النبي

لا يموتُ الحقُّ مهما لطمتْ عارضَيه قبضةُ المغتصِبِ

بالأمس طالتْ يدُ الإجرام الصهيوني المزة وقدسيا؛ لتَرفّ شهداءنا من الأطفال والنساء والرجال العُزَّل إلى ساح الجنان بإذن الله، وتُنْزِل اللعنات على الصهاينة الفاجرين ومن والاهم.

ولكم يا أهل المزة وقدسيا العزاءُ بأهلنا في غزة وفلسطين ولبنان الصابرين الصامدين الحامدين الشاكرين الثابتين المرابطين، ولكم ولهم ولنا جميعاً العزاء بصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فأعظم الله أجركم وتقبل شهداءكم وربط على قلوب ذويهم وعوض الفاقدين خيراً.

جاء في زاد المعاد لابن القيم: قال زيد بن ثابت: بعثني رسول الله صلّى الله عليه وسلم يوم أُحد أطلب سعد بن الربيع، فقال لي: إن رأيته فأقرئه مني السلام، وقل له: يقول لك رسول الله صلّى الله عليه وسلم: كيف تجدك؟ قال: فجعلت أطوف بين القتلى، فأتيته وهو بآخر رمق، وفيه سبعون ضربة: ما بين طعنة برمح، وضربة بسيف، ورمية بسهم، فقلت: يا سعد، إن رسول الله صلّى الله عليه وسلم يقرأ عليك السلام، ويقول لك: أخبرني كيف تجدك؟ فقال: وعلى رسول الله صلّى الله عليه وسلم السلام، قل له: يا رسول الله أجد ريح الجنة.

فيا طوبى للشهداء وهم يجدون ريح الجنة عند آخر ساعة من ساعات الدنيا وأول ساعة من ساعات الآخرة.

وفقدوا نعش حنظلة، فتفقدوه، فوجدوه في ناحية فوق الأرض يقطر منه الماء، فأخبر رسول الله صلّى الله عليه وسلم أصحابه أن الملائكة تغسله، فسمي حنظلة: غسيل الملائكة.

فيا طوبى للشهداء وفيهم من تغسله الملائكة، وفيهم من تحمله، وفيهم من تستقبله.

وفي سيرة ابن هشام: أشرف رسول الله صلّى الله عليه وسلم على الشهداء، فقال: أنا شهيد على هؤلاء، إنه ما من جريح يجرح في الله إلا والله يبعثه يوم القيامة، يدمى جرحه اللون لون الدم، والريح ريح المسك.

فيا طوبى للشهداء وقد نالوا أعلى المراتب والدرجات بعد النبيين والصديقين.

ففي الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عن الشهداء: «**ما يسرّهم أنّهم عندنا**».

أجل، إنّ الجوار الذي صاروا إليه أحبّ لنفوسهم، وأقرّ لعيونهم من الدنيا وما فيها ومن فيها.

أما أسرهم ففي كفالة الله، وهو نعم المولى ونعم النصير.

عن عبد الله بن جعفر – وقد استُشهد أبوه جعفر الطيار رضي الله عنهما في مؤتة — قال: جاءنا النبيّ صلى الله عليه وسلم بعد ثلاث من موت جعفر فقال: «لا تبكوا على أخي بعد اليوم، وادعوا لي بني أخي».

قال عبد الله: فجيء بنا كأننا أفراخ، فقال: «ادعوا إليّ الحلّاق»، فجيء بالحلّاق، فحلق رؤوسنا، ثم قال الرسول عليه الصلاة والسلام: «أمّا محمّد فشبيه عمنا أبي طالب، وأمّا عبد الله فشبيه خلقي وخلقي»، ثم أخذ بيدي، وقال: «اللهمّ اخلف جعفرا في أهله، وبارك لعبد الله في صفقة يمينه».

قالها ثلاث مرات.

قال عبد الله: وجاءت أمُّنا فذكرت له يتمنا، وجعلت تحزّنه، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: «العيلة تخافين عليهم وأنا وليّهم في الدّنيا والاخرة؟!».

أيها الإخوة:

أما الشهيد فقد مضى لرحمة الله، وأما العدو الغادر الفاجر ففي لعنة الله، ولكن ماذا عنك أنت وماذا عني أنا؟!

أيبقى المسلم ناسياً أوامر الله مشغولاً بحظوظ نفسه وهواه، أم تراه متمسكاً بالأمر منتهياً عن النهي؟

أيبقى المسلم معتدياً على مال أخيه فلا يرده إليه إلا مكرهاً أو مضطراً!

أيبقى المسلم آكلاً حق أخته في الميراث!

أيبقى المسلم تاركاً الأمرَ بالمعروف والنهي عن المنكر!

أيبقى المسلم هاجراً مجالس العلم معرضاً عن رياض الذكر!

أيبقى المسلم يقوده الطمع ويضله الهوى!

أيبقى المسلم تاركاً الصلاة هاجراً القرآن!

أيبقى المسلم باحثاً عن متع حياته الدنيا ناسياً حياته الأخرى!

أيبقى المسلم كارهاً لقاء الله معرضاً عن الجهاد في سبيل الله!

أخرج الإمام الترمذي عن أسماء بنت عميس، قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

«بِئْسَ العَبْدُ عَبْدٌ تَخَيَّلَ وَاخْتَالَ وَنَسِيَ الكَبِيرَ المُتَعَالِ، بِئْسَ العَبْدُ عَبْدٌ تَجَبَّرَ وَاعْتَدَى وَنَسِيَ الجَبَّارَ الأَعْلَى، بِئْسَ العَبْدُ عَبْدٌ سَهَا وَلَهَا وَنَسِيَ المَقَابِرَ وَالبِلَى، بِئْسَ العَبْدُ عَبْدٌ عَتَا وَطَغَى وَنَسِيَ المُبْتَدَا وَالمُنْتَهَى، بِئْسَ العَبْدُ عَبْدٌ يَخْتِلُ الدُّنْيَا بِالدِّينِ، بِئْسَ العَبْدُ عَبْدٌ يَخْتِلُ الدِّينَ بِالشُّبُهَاتِ، بِئْسَ العَبْدُ عَبْدٌ طَمَعٌ يَقُودُهُ، بِئْسَ العَبْدُ عَبْدٌ هَوًى يُضِلُّهُ، بِئْسَ العَبْدُ عَبْدٌ رَغَبٌ يُذِلُّهُ».

أحيل مدير دائرة عامة يراجعها كبار التجار والصناع على التقاعد، احتفى به موظفوه وودعوه مكرمين له وشاكرين حسن إدارته، طلب المدير الجديد زيارته في بيته فرحب به المدير المتقاعد، ولما زاره رأى بيتاً بسيطاً وأثاثاً متواضعاً، فقال له: توقعت أن أرى قصراً ومالاً لحساسية منصبك الوظيفي السابق وارتباطه بكبار التجار والصناع، ولكني أرى غير ذلك!

هزّ المدير المتقاعد رأسه مبتسماً وقال صدقت لولا مراقبتي لله لكنتَ رأيت الذي قلت!

هذا هو المسلم الذي يصلح للجهاد ويستعد للقاء ربه.

قال رجل للجنيد: بمَ أستعين على غض البصر؟ فقال: بعلمك أنّ نظرَ الله إليك أسبقُ من نظرك إلى المنظور إليه.

إذا ما خلوتَ الدهرَ يوماً فلا تقلْ ... خلوتُ ولكن قلْ عليَّ رقيبُ

ولا تحسبنَّ اللهَ يغفلُ ساعةً ... ولا أنَّ ما تُخفيه عنه يغيبُ

هذا هو المسلم الذي يصلح للجهاد ويستعد للقاء ربه.

طلق شاب زوجته المعقودَ عليها، ولما أراد أداء ما عليه من الحقوق المالية لها؛ نصحه -غاشاً- بعضُ من حوله من أقارب وأصدقاء ألا يفعل، فالعقد بينهما عقدُ شيخ ولم يثبت في المحكمة، ولكنه أصرّ على أداء ما عليه خوفاً من الله تعالى ومراعاة لحقوق العباد.

هذا هو المسلم الذي يصلح للجهاد ويستعد للقاء ربه.

أيها الإخوة:

في ساح الجهاد تلتقي الأرواح وتمتزج الدماء، فأعظم الله أجركم يا أهلنا في المزة وقدسيا وسائر سورية ولبنان وفلسطين، وأحسن عزاءكم، وتقبل شهداءكم، وعوضكم خيراً، وإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

أخرج البخاري ومسلم عن أبي زيْد أُسامَة بن زيد رضيَ الله عنهُمَا، قالَ: أَرْسلَتْ بنْتُ النَّبِيِّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم: إنَّ ابْنِي قَدِ احتُضِرَ فاشْهدْنَا، فأَرسَلَ يقْرِئُ السَّلامَ ويَقُول: «إن للَّه مَا أَخَذَ، ولهُ مَا أعْطَى، وكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بأجَلٍ مُسمَّى، فلتصْبِر ولتحْتسبْ».

وأمام هذا الإجرام الصهيوني والتواطؤ الغربي الواجبُ علينا ثلاثةُ أمور:

– الزموا الحق وأهله، واذكروا أن الله هو الحق، وأن ما يدعون من دونه الباطل، فكونوا في جانب الله تعالى طاعة لأمره وإقامة لشرعه، ونصرة لدينه، في أنفسكم وفي بيوتكم وفي أسواقكم وفي مجتمعكم.

– أعينوا بما اســـتطعتم من قام مبارزاً الباطل وأهله، منافحاً عن الحق ورايته، فكونوا عوناً لإخوانكم في غزة وفلسطين ولبنان.

– اصبروا واستعدوا إيماناً وتربيةً ووحدةَ صفٍّ ليوم النزال، حتى إذا دعيت للنفير كنت من أهله، وإذا لم تدعَ كتب الله لك نيةَ ذلك.

والحمد لله رب العالمين